

فَكَاهَات

رَقَائِصُ

— الهوى العذري (١) —

كان لعهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا رجلٌ من نبلاء الفرنسيين وارفهم مقاماً واعظمهم شرفاً من أسرة قديمة العهد طائلة الثروة بعيدة الشهرة اسمه الكنت لا فير وكان الخالق سبحانه قد جعل هذا الكنت مجمع الكمالات فكان جميل الخلقة رحب الصدر متديراً في الامور من اعظم الفرسان واشدهم بأساً اذا نطق فحكمة او جلس فلفتكر في امر حميد او سار فالى مجد يناله او خدمة تنفع بلاده . وكان للكنت لا فير ولدٌ وحيد اسمه راعول اقبل الكنت عليه بعد وفاة زوجته فأنحصرت محبته في هذا الولد وكان جل اهتمامه ان ينشأ ولده هذا على خطته بل ان يفوقه في كماله ولم تكذبه امانيه فشب الولد وهو صورة ابيه لا يختلف عنه في شيء من السجايا والصفات الا ان ذاك شيخٌ وهذا فتى . وبعد ان اتم الكنت تربية ولده قدمه الى الخدمة العسكرية فكان له من شرف اسرته وعلو همته وقوة ذراعه واقدامه وسائط عظيمة رفعت في اعين رؤسائه حتى بلغ خبر نجابته وبسالته مسامع الملك فقربه اليه وجعله من رجال بلاطه

(١) ملخصة عن الفرنسية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وكان بالقرب من قصر الكنت منزلٌ لأُسرةٍ أخرى كانت من العيال الشريفة وقضى رأسها مَخْلَعاً زوجةً وابنةً تدعى لويز ولما أصبحتا بدون نصير أخذت أمورها في التأخر والانحطاط . وكانت لويز تتردد في صغرها الى حديقة الكنت فيقابلها راعول ويتمشيان معاً يتزهران في الحديقة ولما طالت العشرة بينهما تولدت في قلوبهما جرايم المحبة ولبت الحب يزداد بينهما الى ان شباً . ولحظ الكنت من ابنه تعلقه بالفتاة فلم يُسرَّ من ذلك لا لعدم ميله الى لويز فانه كان يحلّ تهذيبها ويودّ اسرتها ولكنه خشي ان يكون ذلك شاغلاً له يمنعهُ من التفرغ لطلب العلم والفخر ورأى راعول من والده عدم موافقة على ميله فجعل يقلل من اجتماعاته بلويز الا ان ذلك لم يكن الا ليذكي نيران الشوق في قلوبهما ويزيدهما وجداً وهياماً

ورجع راعول يوماً بعد ان فاز في معركةٍ شهيرة وهو يجد السير لمقابلة والده ولما اشرف على القصر رأى لويز ممتطية جواداً وهي تتزه في تلك الغياض فلما ابصرته علت وجهها حمرة الحب واضطربت جوارحها ثم وثبت عن ظهر الجواد لتقابل حبيبها وكأنها لم تنتبه في وثبتها واتفق وجود حجر أمامها سقطت رجلها عليه فكسرت فلم يكن الا كلعج البصر حتى كان راعول بجانبها فرفعها بين ذراعيه الى ظهر الجواد ونقلها الى بيت والدتها وبعد ان لبث هناك حيناً امتطى جواده واسرع الى بيت والده . فلما رآه الكنت سرّ ببقاءه وعانقه ملياً لكن رآه كثيراً مشئت الافكار فسأله عما به فاخبره بما جرى واستأذنه فارسل طبيبه الخاص لمعالجة الفتاة فكان يزورها كل يوم الى ان تعافت تماماً . واجتمع راعول بوالده يوماً فاطلعه على ما في

قلبه من الحب للوزير وقال له قد لاحظت انك غير راضٍ من حبي هذا
 فاذا كان لديك مانع فلا أحب الي من طاعتك اما انا فقد وهبتها قلبي
 ولن استرجعه ما حيت . فقال الكنت ليس لي ما اقوله في ذلك يا ولدي
 وانما احب ان لا تتشاغل منذ الآن بهذه العلائق التي تعوقك عن بلوغ
 المقام السامي الذي اودّه لك . وبعد فاني اظن انك متى ازددت تخرجاً في
 البلاط الملوكي ترى من السيدات الشريفات والاميرات من تكون اوفق
 لك واقرب الى مقامك من هذه الفتاة . فقال راعول لا تقل ذلك يا ابي
 فسعادتي الحصول على لوزير فاذا فزت في الحرب كانت هي نجم نجاحي
 ولاجلها اسعى واذا رمت منزلة رفيعة فلا يدفعني الى ذلك الا افتكاري ان
 اوصل اليها لوزير فهي مناي وهي املي . ولما رأى الكنت اصرار ولده على
 محبة الفتاة وكان كما اسلفنا يحبه الى ان لا يريد كسر ارادته في شيء صمت ثم
 دخل غرفته وجثا فصلى طالبا من الله ان يحفظ ولده ويقدر له ما به الخير
 ولما اصبح راعول في البلاط الملوكي لم تعد تمكنه الاحوال من لقاء
 حبيبته الا نادراً فكان في هذا النادر يث لها ما يقاسيه في بعهده وتشرح
 له ما ألم بها في غيابه . وحدث في ذلك الحين ان اقترن اخو الملك لويس
 بالاميرة هنريت شقيقة كارلس الثاني ملك انكلترا فسعت لوزير الى ان
 تعيينت سيدة شرف عند الاميرة المذكورة وجاءت القصر الملكي ولما علم
 راعول بذلك سرّ سروراً عظيماً وعادت اجتماعاته بحبيبته كالعادة فكان
 يتمكن ان يراها كل يوم ان لم يتسن له ان يخلو بها او يجالسها
 وكانت الاميرة هنريت على جانب عظيم من الجمال والرفقة فشغف بها

الملك لويس واحبها الى ان اهل امور مملكته واصبح للاميرة كظلمها واشتهر امره معها حتى بلغ مسامع والدته وزوجته وشقيقه . ولما كان مقام الملك ارفع من ان يصل اليه تعنيف استمر الملك لويس على حبه الى ان كان ذات يوم خارجاً من غرفة الاميرة وبينما هو سائر في الرواق الموصل الى غرفته سمع صوتاً رخيماً منبعثاً من احدى الغرف وكأَن في الصوت قوة ساحرة استوقفت الملك جبراً فاعار اذناً صاغية واذا بفتاة تقول ولكن ما ظنك يا لويز بحب الملك للاميرة هنريت وهل تعتقدين انها تحبه . فاجابت ربة الصوت العذب لا اشك في انها تحبه ومن يا ترى من جنسنا اذا رأت طلعتة البهية وجماله الرائع وكمال جسمه لا تفرق في بحر محبته . اما انا فاني لم اعرف للحب معنى ولا للعشق مغزى حتى رأيت له لاول مرة مكانه مغناطيس جذبني اليه وعلقني به فان نمت او قمت او مهما فعلت ارى الملك لويس المحبوب في انسان عيني وضمن قلبي . ثم انقطعت عن الكلام وسمع الملك تنهداتها الحارة وضحك صاحبها منها فصار وقد شغلت قلبه ربة الصوت وما صدق ان عاد في الصباح الى زيارة الاميرة وفي اثناء الحديث سألتها عن سيدات الشرف اللواتي عندها فقدماتهن اليه باسمائهن ولما ذكرت له اسم لويز تفرس الملك في الفتاة فتحقق لاول نظرة انها اجمل نساء مملكته . اما لويز فعند اقترابها من الملك اثرت فيها عواطف الحب فالقت بنظرها الى الارض وفاض الدم الى وجهها فزاده رونقاً وجمالاً ورأى الملك اضطرابها وخفقان قلبها فلم يخف عليه امرها اما الاميرة فنسبت ذلك الى رهبة الملك وسمو مقامه . وكانت تلك النظرة كافية للملك بعد

ما سمع بالامس فتحولت محبته الى الفتاة وأولع بها ولعاً عظيماً فعزم ان يجعلها حظيةً له مهما حال دون ذلك . ولما علم ان الفتاة هي خطيبة راعول استدعاه وارسله برسالة مهمة الى البلاط الانكليزي وامره ان يبلغها في اسرع وقت . ولم يكن من السهل على راعول ان يفارق لويز ولكن لم يسعه ايضاً مخالفة امر الملك فودعها وسافر على نية الرجوع السريع . غير ان رسالة الملك كانت للملك كارلس يقول له فيها ان حامل رسالتي هذه من اعيان بلادي واحب تعيينه سفيراً لمملكتي في انكلترا فارجو ان تكرموا وفادته ما امكن وتجتهدوا في تحييب انكلترا اليه حتى ينسى فرنسا . فلما ادى راعول الرسالة لبث ينتظر الجواب والامر بالرجوع ولكن كارلس لم يسمح له بذلك وهو يؤجله من يوم الى آخر ولما نفذ صبره اخبره الملك انه لا يستطيع الرجوع الى فرنسا الا بطلب من الملك لويس فجعل راعول ينتظر الامر المذكور من يوم الى آخر وهو على احر من الجمر

اما الملك لويس فبعد ان ابعد راعول تفرغ للجمالة لويز فكان يقيم الولائم وحفلات الرقص والصيد والنزهة وما شا كل ذلك فيجمع اليه كل من في بلاطه من رجال ونساء بقصد ان تكون لويز بينهم فيخلو بها مسامراً او يسير الى جانبها متودداً . ورأت الاميرة هنريت ميل الملك الى وصيفتها بعد ميله اليها فاشعلتها نار الغيرة وحب الانتقام فابتدأت اولاً بمراقبة لويز ومواراتها عن نظر الملك ما استطاعت غير ان حبه لم يكن ليقف امام هذه الموانع الطفيفة فلم يعدم الوسائل التي تنيله زيارة لويز كل يوم . ولما اعيت الاميرة الحيل كتبت الى اخيها كارلس تقول له حال وصول كتابي

هذا أرجع راعول الى فرنسا فان رجوعه يترتب عليه امر مهم يعود الى راحتي وهناء المملكة . وكتبت الى راعول على ورقة اخرى بدون توقيع هذه الكلمات « تعال الى باريز وانظر ماذا يجري في غيابك » ولما وصلت الرسائل ثلث تعجب كارلس من لهجة شقيته ولم يفهم منها شيئاً فاستدعى راعول وامره بالسفر في الحال . وكان راعول في مدة غيابه قد ارسل عدة كتب الى حبيبته ولم يفز بجواب فما كانت كلمات الاميرة الا لتزيد هواجسه ولباله فبرح لندرا في صباح يومه وهو يود ان يطير طيراناً فبلغ باريز بعد ظهر اليوم الثاني وصعد توتاً الى غرفة حبيبته لويز فقرع بابها ثم فتحه واذا بالملك لويس جالس والى جانبه لويز متكئة على صدره وعيناها شاخصتان اليه . ولو انقضت صاعقة على رأس راعول ما كانت لتؤثر فيه كما اثر هذا المشهد فاغلق الباب بلطف وعاد بسرعة فذهب الى غرفته وجلس وهو لا يدري اين هو . وبعد ان مضت عليه عدة ساعات فُتح باب غرفته فنظر واذا بلويز داخله اليه وقبل ان ينطق بكلمة ألقت بنفسها على قدميه وقالت له بربك يا راعول اغفر لي . وشعر راعول بعوامل تمزق صدره ولكنه كتم ما به واطرق ببصره ولم يفه ببنت شفة . وكانت لويز لا تزال جاثية امامه ودموعها تتحدر على خديها فقالت احببتك يا راعول حباً لا تجهل مقداره وانما كان حبي لك محبة اخت ولم ادر ما هو الحب الحقيقي حتى رأيت الملك لويس فاحببته . انا عالمة انني قد خنت عهدك واذنبت اليك واستحققت مقتك ولكن ما العمل بخير لي ان اتركك من ان اكون معك وقلبي ليس لك . وقد اسأت اليك ايضاً بعدم اخباري

اياك بما طرأ عليّ قبل الآن ولكن ضعف عزمي وخوفي ان يؤثر عليك
 اخبر منعاني حتى الآن فاستحلفك بالله ان تصفح عن ذنب لوز التي
 احببتها نخانتك وان تنسى اثمها فهل تسامحني . — ولبتت تنتظر جوابه مدة
 اما راعول فكان كالصنم الاصم ولم يفتح فاه . وبلغ تهيج الفتاة ان سقطت
 امامه فاقدة رشدها فنادى راعول خادمه وامره ان يحملها الى عربتها التي
 تنتظرها في الخارج . وغلبت عليه ذكرى حبه فتقدم ليزودها قبلة الوداع
 ولكنه وقف فجأة فقال لا لا . انا لست لويس الرابع عشر لا كون سارقاً .
 وبعد ان خرج الخادم بها ركب راعول عربة اخرى وسار الى بيت ابيه .
 وكان الكونت لا فير والد راعول مطلعاً على جميع ما جريات القصر
 وهو يحرق الأرم غيظاً من خيانة لوز وتعدي الملاك ولا يدري بأي طريقة
 يبلغ راعول الامر أو كيف يتلافاه . فلما دخل راعول عليه علم لدى وقوع
 نظره على وجهه انه قد اطلع على كل شيء فجعل يهوت عليه ويسليه
 جهده فلم يفزع عاف راعول الملذات والملاهي بل كان لا يسأل عن طعام ولا
 رقاد حتى ذبل جسمه وتغير لونه واصبح على شفا الدمار وكان والده يراه
 كذلك فينقطر قلبه . ولبت الامر على ذلك الى ان انتشر خبر سفر الدوك
 بوفور الى شمالي افريقيا لمحاربة العرب قهلال وجه راعول فرحاً ولم يلبث ان
 طلب الانضمام الى جيش الدوك وعلم الكونت لا فير غرض ولده من
 هذا التطوع فسعى جهده في صرفه عن عزمه فلم يفلح . ولما رأى ان لا بد
 من ذلك صحبه الى منزل الدوك بوفور وكان صديقه الحميم فاوصاه به ثم
 ودّع الكنت ولده وكان كلما سار احدهما بضع خطوات يرجع فيقبل الآخر

بحرارة كأنهما عالمان ان هذا الفراق لا ملتي بعده
وبعد سفر راعول اصبح الكنت لا فير عرضةً للاكدار وكأنه رأى ان
راعول قد استحال عليه سلو لويز فعزم ان يسلوها بالموت وتصور له ان ابنه
سيموت بعيداً عنه ولا يراه فكانت هذه الافكار تزيد حزنه فأنحطت
صحته واصابته حتى شديدة كانت تشتد عليه يوماً فزيد بلاءه ورأى
ذات يوم حلماً اذا براعول على جواد ابيض يسير امامه وهو مكلل بالغار
فاندفع عليه ليصافحه فنهه ذلك قائلاً ليس هنا يا ابي فاتبني ولم يزل سائراً
حتى حجبته الغمام فاستيقظ الكنت مذعوراً . وفي اليوم نفسه ورد اليه
رسول من الدوك بوفور ودفع اليه رسالةً فقرأها والدموع تحجب كلماتها عن
بصره وكان فيها ما يأتي

عزيزي الكنت . اكتب اليك بدم القلب لا بالمداد خبر موت شقيق
الروح راعول . فقد حافظت عليه محافظتي على حذقة العين في جميع المواقع
التي جرت الى ان كان موعد الهجوم على قلعة الاعداء فهجم راعول في طلعية
فرقته بدون اذني ولما رأيت ذلك خطراً اصدت امرى لهم بالرجوع فاطعني
الجنود اما راعول فنظر اليّ نظر الكاسف واستمر في هجومه الى ناحية السور
فاستعملت كل ما في امكاني لارجاعه فلم يفعل فامرت الجنود ان يقتلوا
جواده من تحته ففعلوا ولما سقط الجواد امتشق راعول سيفه وهجم
ما شياً على اقدامه . ولما رأيت ذلك امرت كافة كتائي بالهجوم دفعة واحدة
لا نقاذه وكانت بيننا وبين العدو معركة عظيمة لم اشاهد مثلها في حياتي
كان فيها النصر لنا وخفقت رايتنا على اسوار القلعة . اما راعول فلم اقف له

على اثر الى المساء حيث وجدهُ الجند مطروحاً بين القتلى وفي جسمه جراح
 عديدة وهو لا حراك به فحملوه اليَّ واستدعيت له امهر اطبائي فوجدوا
 ان فيه بقية حياة فامرتهم بمعالجته ووعدهم باثمن الهبات ان شفي . ولكن
 ابي القدر الامعاندتي فانه لم يستفق الا لحظة واحدة فاخرج من جيبه
 خصلة من الشعر الذهبي فادناها من فمه ثم القاها بيده على قلبه واسلم الروح .
 وقد امرت بنقل جثته اليك فكن رجلاً كما اعهدك ايها الكنت العزيز
 ولا ترزح تحت هذا المصاب وان يكن ثقيلاً وتحقق اني فعلت كل ما يمكن
 عمله ولكن وقع القدر فانا اشاطرك الاسف وابكي على الدوام حبيباً واخاً »
 ولم يستطع الكونت ان يأتي على تمام الرسالة فسقط على السرير فاقد
 الرشد ثم افاق فقال كلا لست في حلم بل انا في يقظة وهو يناديني فها هذا
 يا ولدي . ثم رفع يده كمن يصافح احداً وعاد فاطبق عينيه واسلم الروح
 ولما وصلت جثة راعول دُفنت مع جثة والده في حديقة القصر حيث
 لم يبرح خادمهما الامين والموكل على القصر يغرس على قبرهما الورود
 والياحين ويسقيها كل يوم بدموعه .

.

وكانت تأتي فتاة بلباس اسود تزور الضريح في كل مساء — وتلك
 الفتاة هي لوز بعد ان غادرها الملك لويس وانصرف الى غيرها — فتسكب
 العبرات السخينة على شهيدين كانت هي السبب في ايصالهما الى القبر بخيانتها
 وغرورها فتزلت بهما من اوج السعادة الى حضيض التراب

